الوديعة

فيودور دوستويفسكي

عرب كوميكس - اعداد Georgette

Loïc Dauvillier
Mikhaël Allouche

La Douce

الوديعة

d'après une nouvelle de Dostoïevski

قصة لـ دوستويفسكي

éditions Carabas

تم الاستعانة بترجمة:
غائب طعمة فرمان/
دوستويفسكي قصص
مختارة – دار المدى

الوديعة (قصة خيالية)

من المؤلف

أرجو المعذرة من قرّائي على أني أقدّم، في هذه المرة، قصة خالصة، بدلاً من "اليوميات"* بشكلها المعتاد، لأنني، في الواقع، انشغلت بهذه القصة معظم الشهر. وعلى أية حال، أرجو لطف القرّاء.

والآن عن القصة ذاتها. لقد وضعت لها عنوان "قصة خيالية"، مع انني أعتبرها حقيقية إلى حد كبير، ولكنها، في حقيقة الحال، تشتمل على ما هو خيالي أيضاً، وفي شكلها بالذات، مما يلزمني الإيضاح مسبقاً.

والواقع أنها ليست قصة، ولا مذكرات. تمثّلوا زوجاً ترقد على طاولة في بيته زوجته المنتحرة التي ألقت نفسها من النافذة قبل بضع ساعات. فهو في بلبلة، لم يستطع بعد أن يجمع أفكاره. إنه يسير في الحجرات، ويحاول أن ينفذ بفكره إلى ما حدث، أن "يركز ذهنه". فضلاً عن ذلك فإن هذا الموسوس المزمن هو من الذين يتكلمون مع أنفسهم. وهو الآن يتكلم مع نفسه، ويروي القضية، ويوضحها لنفسه. إنه، رغم كلامه المتماسك في الظاهر يناقض نفسه عدة مرات سواء في المنطق أو في المشاعر. فهو يبرر نفسه تارة، ويتهمها أخرى، وينهمك في إيضاحات جانبية. وهنا نجد فظاظة الفكر والقلب، وهنا نجد الشعور العميق أيضاً. وشيئاً فشيئاً يوضح القضية لنفسه بالفعل، و"يركز ذهنه". وتقضي به جملة من الذكريات التي يستدعيها إلى الحقيقة في الختام. والحقيقة تسمو بعقله وقلبه بشكل لا يقهر. وفي الخاتمة تتغيّر حتى لهجة القصة، إذا ما قورنت ببدايتها المشتتة. وتتكشف الحقيقة لهذا البائس بقدر كافٍ من الوضوح والتحديد، بالنسبه له، على أقل تقدير.

هذا هو الموضوع. ومجرى القصة، بالطبع، يستمر عدة ساعات، تتخلله توقفات وانقطاعات، وفي شكل غير متجانس. فتارة يتكلم مع نفسه، وتارة كمن يخاطب مستمعاً غير منظور، حكماً. وهذا ما يحدث في الواقع دائماً. ولو أستطاع أحد أن يتنصت ويسجل كل ما يقوله بطريقة الاختزال، لكان أقل صقلاً وتعديلاً مما هو لدى الآن، ولكن النسق السايكولوجي بقدر ما يتراءى لي، كان سيظل كما هو. إن ذلك التسجيل المتخيّل بطريقة الاختزال (كما لو عدّلت فيما بعد التسجيل)، هو ما أسمّيه في القصة بالخيالي. إنه يشبه، على نحو ما، ما طرق في الفن غير مرة ومثال على ذلك هوغو في رائعته "اليوم الأخير من حياة محكوم بالإعدام"، فقد استخدم نفس الطريقة تقريباً رغم انه لم يستعن بطريقة الاختزال، ولكنه جوّز لنفسه قدراً أكبر من مجانبة الحقيقة، مفترضاً بأن المحكوم بالإعدام يستطيع (ويملك الوقت) ليسجل مذكراته لا في يومه الأخير فحسب، بل وفي ساعته الأخيرة، وحتى في دقيقته الأخيرة. ولكن لو لم يجز لنفسه هذا التخيّل لما حقق هذا العمل ذاته، العمل الأكثر واقعية والأكثر صدقاً من كل الأعمال التي كتبها

---

*يقصد بها "يوميات كاتب" التي كان ينشرها شهرياً في مجلة "غراجدانين"، ابتداء من عام 1873. وكان يستخدم فيها الأسلوب "الإشهاري" بشكل عام، ما عدا بعض الأعمال الفنية من صور قلمية، وقصص، وذكريات، ومنها هذه القصة وقصة: حلم رجل مضحك

من أنا؟...

من هي؟...

أريد أن أوضّح ولا أركّز فكري..

ما يزال كل شيء في موضعه...

ها هي ما تزال هنا...

ولكن غداً...

غداً سيحملونها وأنا...

سأبقى وحيداً

وأريد أن أوضّح، لنفسي المسألة منذ ست ساعات، وأنا ما أزال أريد أن أوضّح، ولا أركّز فكري.. أريد فقط أن أقصّه بانتظام.. أنا أبعد عن أكون أديباً.. وليكن، سأقصّ، حسب ما أفهم

إذا أخذنا القصة منذ بدايتها...

انها كانت تأتي إليّ لترهن الأشياء..

لتدفع ثمن إعلان تقول فيه: مربية مستعدة للسفر، وإلى إعطاء الدروس الخصوصية في البيت.. إلى غير هذا وذاك

كانت تأتي مثل غيرها وعلى نفس المنوال

لم أكن أميّزها عن الآخرين...

قبل كل شيء، بهرتني أشياؤها...

أشياء لا قيمة لها...

ولكن كنت أرى من وجهها أنها نفيسة بالنسبة لها

كانت دائماً غير مرتاحة معي
كأنها تخجل...

أظن أنها كانت مع جميع الغرباء
أيضاً بهذا الشكل...

وطبيعي انها لم تكن تفرّق
بيني وبين هذا وذاك...

أقصد كإنسان وليس
كصاحب رهونات

احم...

مرة واحدة فقط أبحت لنفسي الاستهزاء من أشيائها...

هاه!

معذرة

لقد اعتقدتِ بأنني سآخذ كل شيء. حسناً، لا يمكنني أن أقول أنني سمعت بهذا سابقاً

وهنا لاحظتها بشكل خاص، لأول مرة..

انها شابة.. في منتهى الجمال

أمام رد فعلها، أعتقدت أنني لن أراها مرة أخرى...

وفي اليـوم التالي جاءت مرة أخرى

وفهمت أنني وخزتها، وفهمت ما هو البؤس...

ومنذ ذلك الحين، سعيت إلى أن أتقصى كل الظروف من وراء ظهرها...

ودخلت معها في حديث أنيس بأدب غير اعتيادي للغاية.. وعندئذ حدست أنها وديعة وطيبة

وعرفت فيما يخص الإعلانات وعن كل شيء، كانت آنذاك تنشر الإعلانات بآخر إمكانيات لها.. ولم تجد وظيفة

عندئذ عزمت على شراء الصحيفة كل يوم

شاهدت ببطء وضعها يتدهور

وفي النهاية، حين يئست كتبت: بدون مرتب، للعيش فقط

اضطررت إلى الانتظار لفترة أطول قليلاً، إلى أن..

عزمت على ان اختبرها
للمرة الأخيرة

انظري، هكذا يجب أن يكون الإعلان

نشر هذا في الصباح، وفي المساء وجدت عملاً، على الأرجح

كنت أريد أن أختبرها، لأن
أفكاراً بخصوصها صارت
تحوم في رأسي فجأة

إعلان رقم 1211
امرأة شابة، يتيمة الوالدين تبحث عن
عمل كمربية للأطفال الصغار، يستحسن
أن يكون لدى أرمل متقدم في السن.
تستطيع أن تساعد في شؤون البيت

لم تقل شيئاً...

استدارت وخرجت في
الحال من دون أي كلمة

كنت آنذاك واثقاً في كل شيء...

لأنه نعم، بالنسبة لي، كان حقاً انتصاري الأول

وأتت في اليوم الثالث.. لكن هل كان لديها خيار؟...

لا، احتفظي بها

لماذا، أليس لديك الحق في أخذها؟

وكانت شاحبة منفعلة

...

أعطيك
عشرة روبلات، دون
لف أو دوران

أعطني خمسة روبلات فقط،
سأستردها من كل بد

لا تأنفي من أحد. لقد مررت أنا نفسي في مثل هذه الضائقات، بل أسوأ وإذا كنت تريننني الآن أمارس هذا العمل.. فإن ذلك بعد كل ما تحملته..

تنتقم من المجتمع؟ ها؟ هل
أفهم أنه من خلال مزاولة مهنة
الرهن، فإنك تبيع نفسك؟

أنا جزء من ذلك الجزء من الكل، الذي
يريد أن يأتي الشر،
ولكنه يصنع الخير

على مهلك..
ما هذه الفكرة؟

لفاوست! هل
قرأت "فاوست"؟

أرادت أن تقول: "لم أكن أتوقع أن
تكون رجلاً مثقفاً"، ولكنها لم تقل ذلك

أنت غريب جداً

رغم انني كنت أعرف ماذا دار في ذهنها

نظرت إليها آنذاك وكأنها لي، ولم أشك في جبروتي. إنها
فكرة شهوانية للغاية حين لا يراودكم شك. وقمت بآخر
التحريات، فعرفت عنها سائر الأشياء من أسرار حياتها

وكانت هذه
الأسرار فظيعة

هذه هي. أتذكّر كل شيء. ذاكرتي لم تعد تخذلني..

أتذكّر...

توفي والداها قبل ثلاثة أعوام
وبقيت مع عمتيها المختلتين..

وكانت كلتاهما بغيضة، فهي قضت سنوات
تعيش في عبودية لديهما

حالة كارثية بالنسبة لها..

مثالية بالنسبة لي

كل ما تبقّى هو الانتظار...

انتظار الوقت المناسب

علمت أن عمتيها كانتا يحاولان تزويجها لرجل عجوز...

...حانوتي ويملك محلين للبقالة

خطبها وراح يتآمر مع العمتين، وفي هذه الفترة بالذات راحت تتردد عليّ للإعلان في الصحيفة

كان الرجل يقول: "وديعة، نشأت في عوز. سأتزوجها من أجل اليتامى"، فضلاً عن ذلك للعناية بالمنزل والدكان

كنت أعرف أنه لا يمكن لفتاة صغيرة أن تحلم بهذا...

أنا الملازم ثانٍ لفوج لامع متقاعد وصاحب مكتب رهونات...

كنت أعلم أنني أستطيع أن أقدّم لها وضعاً أفضل

نعم، هذه الليلة*

كان عليّ التحلّي بالصبر

* كان قد عرف عن أسرار حياتها الماضية كلياً من لوكيريا التي كانت تخدم عندهم آنذاك، والتي رشاها قبل بضعة أيام من هذا التاريخ

أهو أنت يا سيدي؟

أنا رجل صريح، درست ظروف المسألة

لم أكذب في قولي "أنا صريح".. كان بإمكاني أيضاً تقديم اقتراح لعمتيها..

لكن لا...

لم أكن خائفاً من أي شيء. أردت لها أن تختار

تختار من التعاستين أسوأهما.. أنا أم التاجر؟

بالطبع، قبلت اقتراحي

ماذا كنت ستفعل لو كنت مكانها؟

اليوم، يمكن للمرء أن يتساءل عما إذا كانت لم تختر الأسوأ

ان عمري واحد وأربعون، بينما هي لم تتجاوز السادسة عشرة. سحرني هذا، هذا الإحساس بالفارق، هذا لذيذ جداً

كان شبابها مليئاً بالغبطة

وكنت أقابل الغبطة بالصمت

ذات مساء، شرعت أوضح لها طريقتي في رؤية الأشياء...

أوضحت لها صراحة وبلا شفقة بأن شهام الشباب روعة..

ولكن لا تساوي فلساً واحداً

لأن الشباب ينالها برخص قبل أن يجرّب الحياة...

كنت أريد كل شيء لأنني لست قنوعاً بالنصف في السعادة، ولهذا تصرفت كذلك وقلت لنفسي: دعها تحدس بنفسها، وتقدّر

وبعد ذلك اعتصمت بالصمت

لا بد أن توافقوا على
ذلك، لكن أؤكد لكم...

أحببتها...

نعم أحببتها

منذ البداية، أردت أن تكون الأمور واضحة

قلت لها ان روبلاً لا أكثر مخصص في اليوم لإعالتنا

لأنني بحاجة إلى ثلاثين ألفاً في ثلاث سنوات، وبغير هذه الطريقة لا نستطيع أن نجمع الفلوس...

ستتكفلين باستقبال الرهائن، وتسليم الفلوس وتخزين البضائع

هل تستمعين إليّ؟

لم تقل شيئاً ولم تعترض

٥٠ كوبيكاً

تباً..

على أي حال، ليس لديّ خيار

سيدي، لديك الخيار

أنا لا أجبر الزبون أبداً على القبول بالعرض

يمكنني القول أن نظرتها إليّ كانت تتغيّر. لكنها لم تقل أي شيء

شعرت أنها كانت تحاول أن تحبني لكنها بالكاد تمكنت بأن تكرهني

لست أفهمك، حقاً

أنت تقول أنك تعرف البؤس ولكنك لا تعرف سوى الجشع

لماذا لا تقول شيئاً؟

لم يكن بؤساً بل كان اقتصاداً، 30 ألف روبل هذا ما احتاجه من مبلغ لتقاعدي...

لشراء منزل ومشاركته مع من أحب

ربما كان عليّ أن أخبرها بذلك...

ولكن ذات الستة عشر ربيعاً، أول الصبا، ماذا كان في مستطاعها أن تفهم من مبرراتي، عذاباتي؟

أعرف الطبيعة الحقيقية للإنسان. لأننا جميعاً وساخة ولا نحتمل الحقيقة أو لا أدري ماذا. يأخذك إلى أعلى مستوى وبعد ذلك حتى إذا كنت تتصرف بشغف، فإنه يرميك من الزلّة الأولى

أستطيع أن أخبرك أنني أعرف ما أتحدث عنه...

هـل تعتقد أن فتاة تبلغ من العمر 16 عاماً يمكنها سماع هذا وفهمه؟

إذا كنت تعتقد ذلك...

أنت مخطئ

٣٠ روبلاً

بدأت المشاحنات حيث ارتأت، فجأة، أن تعطي الفلوس حسب هواها وتقدّر الأشياء أعلى من قيمتها

حسناً..

لكن أرجو أن تحفظ لي الرهن ولا تبيعه

سأعود لاسترجعه

أنت تفهمني، انه يعني لي الشيء الكثير، انها ميدالية زوجي النقيب الراحل

لا تقلقي سيدتي، نحن مكتب رهونات جاد

بعد حوالي خمسة أيام، أتت زوجة النقيب

سيدتي، أنا على استعداد لمقايضة ميداليتك بشيء آخر، لكن فقط إذا كان له نفس القيمة

لكن سيدي، هذا كل ما لديّ

أتستبدلين الميدالية بسوار لا يساوي حتى ثمانية روبلات، وأنا أعطيتك ثلاثين روبلاً

أنا متأكد ان الأرملة خمنت عندئذ شيئاً من عيني زوجتي...

لقد أهدرت للتو ١٣ روبلاً

فجاءت بغيابي فبادلت السوار بالميدالية

لماذا فعلت ذلك؟ كنت تعلمين أنني لن أوافق على ذلك

لن تغضب من قطعة قماش على أي حال

لديّ كل الأسباب لأكون مستاء. فقدنا ما يعادل ٢٢ روبلاً. دون احتساب الفوائد

مرة واحدة على الأقل يمكنك القيام بعمل لطيف مع كل المدخرات التي لديك

اللطف لا يجلب شيئاً. في أحسن الأحوال القمل! وعلى أسوأ تقدير

كيف تجرؤ على التحدث بهذه الطريقة؟

أنا أتحدث كيفما أشاء...

هذا الصندوق، قمت بتجميعه بنفسي. أنا لا أدين لأحد بأي شيء. ان الفلوس فلوسي، وان لي الحق في أن أنظر إلى الحياة بعيني أنا

علاوة على ذلك، من الآن فصاعداً سأحرمك من المشاركة في أشغالي

باالم

في المساء عادت...

لم أنطق بكلمة...

دوماً الصمت

خلال هذه الفترة، تتالت الأيام متشابهة.. تخرج كل يوم.. قوام الأمر انها لم تكن تملك الحق في الخروج من الشقة. منذ أن خطبتها اتفقنا على ألا تخرج إلى أي مكان بدوني

لم أرها تغادر ونادراً ما تعود إلى المنزل...

كان لديّ متسع من الوقت لأتخيّل أسوأ السيناريوهات

ماذا كانت تفعل كل هذا الوقت؟

كنت بحاجة لمعرفة الحقيقة

حتى لو كان ذلك يعني إنفاق أكثر من 300 روبل.. كرشوة

وعلمت ان المتورط في الأمر الضابط الملازم ورفيقي السابق في الفوج...

...يفيموفيتش!

هذا الذي ألحق بي الأذى في الفوج أكثر من أي شخص آخر..

مساء الخير

حسناً، انك لم تنم؟

ليس لدي رغبة

شياطين الماضي القديمة تطاردك؟

هل صحيح انك طردت من الفوج لأنك جُبنت ولم تخرج إلى مبارزة؟

صحيح! لكن الأمور ليست بهذه البساطة

طلبوا إليّ أن أترك الفوج بناء على قرار الضباط، رغم انني قدمت استقالتي قبل هذا

حكموا عليّ كجبان. ولكنني امتنعت عن المبارزة لا عن جبن، ولكن عن رغبة مني في عدم الإذعان إلى قرار تسلكي...

في حين لم أجد أنا نفسي إساءة في الأمر، هل يمكنك فهم ذلك؟

ولكن حينها... طردوك كجبان

لم أتحمل، وهذا ما كانت تريده بالذات، هذا الاستصغار الجديد لنفسي. فأنشأت تضحك في خبث

ها!ها!ها

كفى!

لعلمك القيام بعمل مناهض للتسلط، وتحمّل كل التبعات كان يعني إبداء شجاعة تفوق بكثير تلك التي من المطلوب إبداؤها في المبارزة

وهل صحيح انك ظللت ثلاثة أعوام بعد ذلك تتسكع في الشوارع كالمتشرد وتسأل حسنة وتنام تحت مناضد البلياردو؟

فندق

وهكذا في اليوم التالي، شرعت في البحث عن المكان الذي تمضي فيه معظم يومها...

كان من السهل العثور على المكان...

هناك، استمعت إلى حديثهم...

كيف كان يتقرر مصيري وراء هذا الباب

كان لديها فكرة واحدة فقط في ذهنها...

ها! ها!

كان من الممكن أن أظن ان ذلك
مجرد غنج من جانبها، ولكن لا،
فالحقيقة لكراهيتها لي فقط

كان لديها هدف واحد فقط: أن تؤذيني

ولكن هل لديك الشجاعة؟

سيدي! أعترف بخطئي لذا فأنا مستعد أن أدخل في مبارزة معك

ها! ها! ها

لن تتغيّر أبداً

...

فندق

فندق

أنا... اصمتي! لا أريد أن أسمع أي شيء

في تلك اللحظة، استطعت قراءة أفكارها في عينيها...

لكنني أحببتها كثيراً لرؤيتها تزهق

وتبدو وكأنها قد أيقنت بأنني سأقتلها

طابت ليلتك

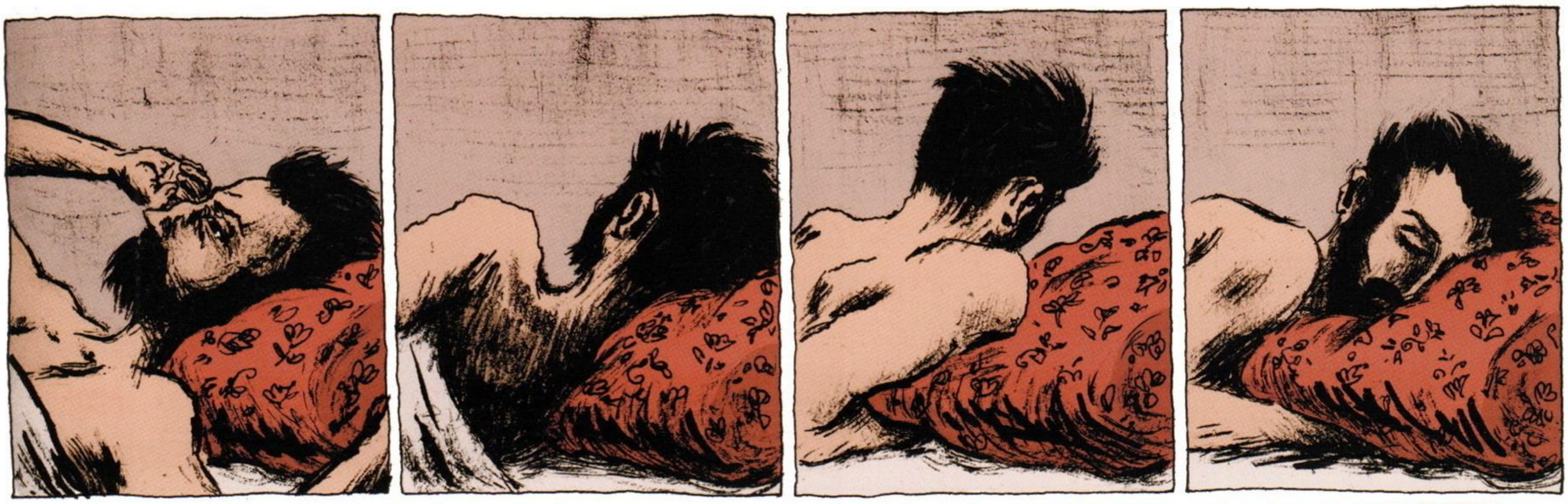

عدت فأغمضت عيني عنوة، وفي تلك اللمحة
عزمت بكل ما في نفسي من قوة على أن لا أتململ
بعد الآن، وأن لا أفتح عيني، مهما يكن في انتظاري

لماذا؟...

لأنه لم يكن ليّ أي أمل في الخلاص

وفضلاً عن ذلك كنت أعرف بملء قوة كياني
ان صراعاً يجري بيننا في تلك اللحظة، مبارزة
رهيبة على الحياة والموت

مبارزة الرجل الذي جُبن بالأمس

وضدها، والفعل الذي كانت
على وشك أن ترتكبه

نهضت من الفراش. لقد انتصرتُ،
واندحرت هي إلى الأبد

كانت شاحبة ولم تعد تظهر
مقاومة

في اليوم نفسه، اشتريت
سريراً حديدياً وحاجزاً له

ولم أقل لها أية كلمة، ومن
خلال هذا السرير، فهمت،
دون كلام

لقد فُسخ الزواج

وأوت إلى السرير مدحورة،
غير مغفور لها

والغريب أن النوم لا يراودني

والمرء دائماً يريد أن ينام عند
الفاجعة الكبيرة، وبعد النوبات
الأولى الشديدة للغاية

عند الصباح اعتراها هذيان وحمى

كنا نرعاها آنذاك ليلاً ونهاراً

إنها ضعيفة لكنها ستتعافى...

يجب أن نمنحها الوقت

وعندما قلت "كنا"، أقصد أنا وممرضة استأجرتها من المستشفى لرعايتها...

لم أبخل بالفلوس بل كنت أحب أن أصرف عليها

ولزمت الفراش ستة أسابيع

إنها تغني؟

هل تعلمين انني أحبك؟

أنا... لم أعد أخافك؟

أنا أحبك

كنت فقط أنتظر إشارة منك، سأبيع المكتب و..

اسمعيني، أتوسل إليك..

ابتعد عني

لكنني.. أحبك

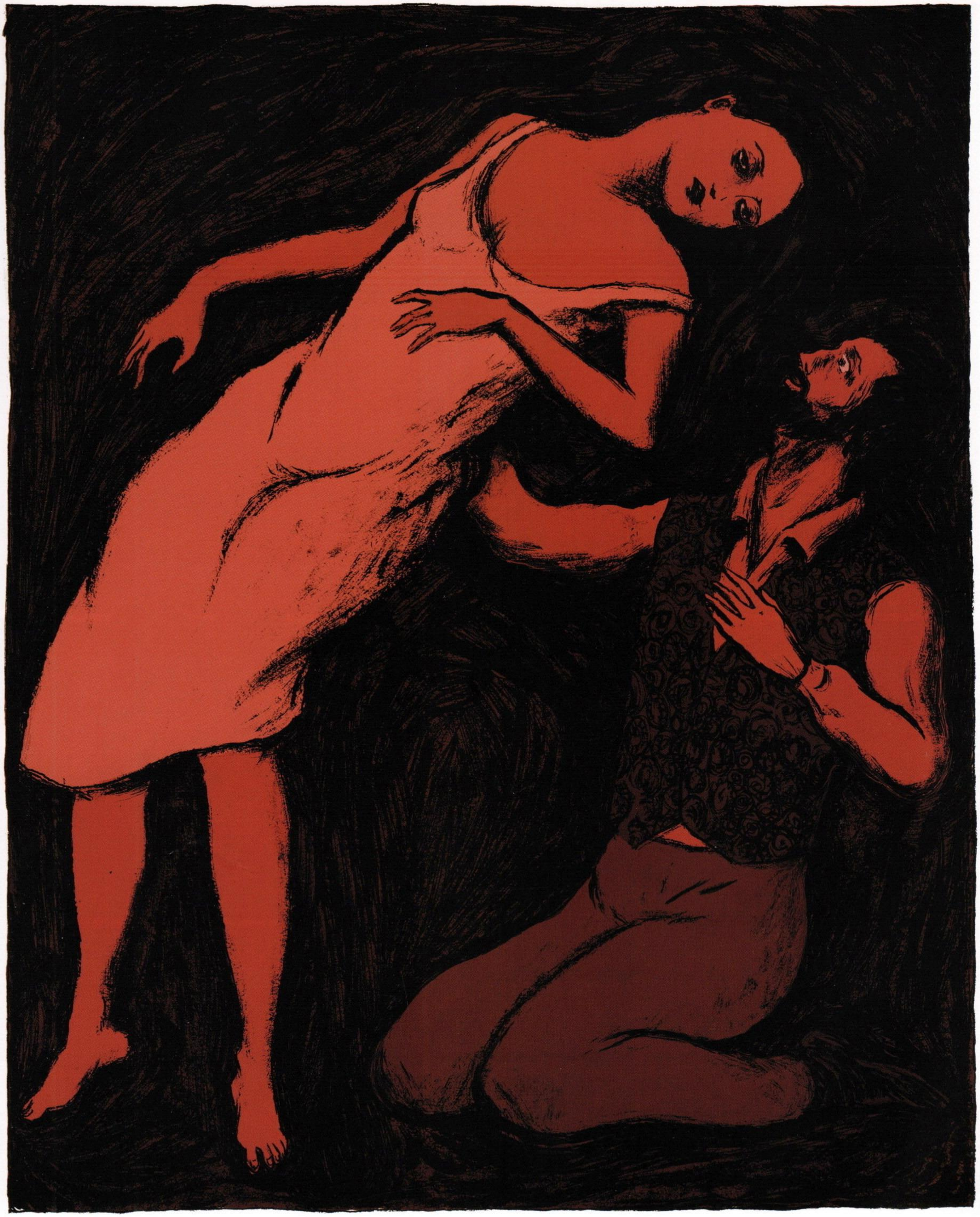

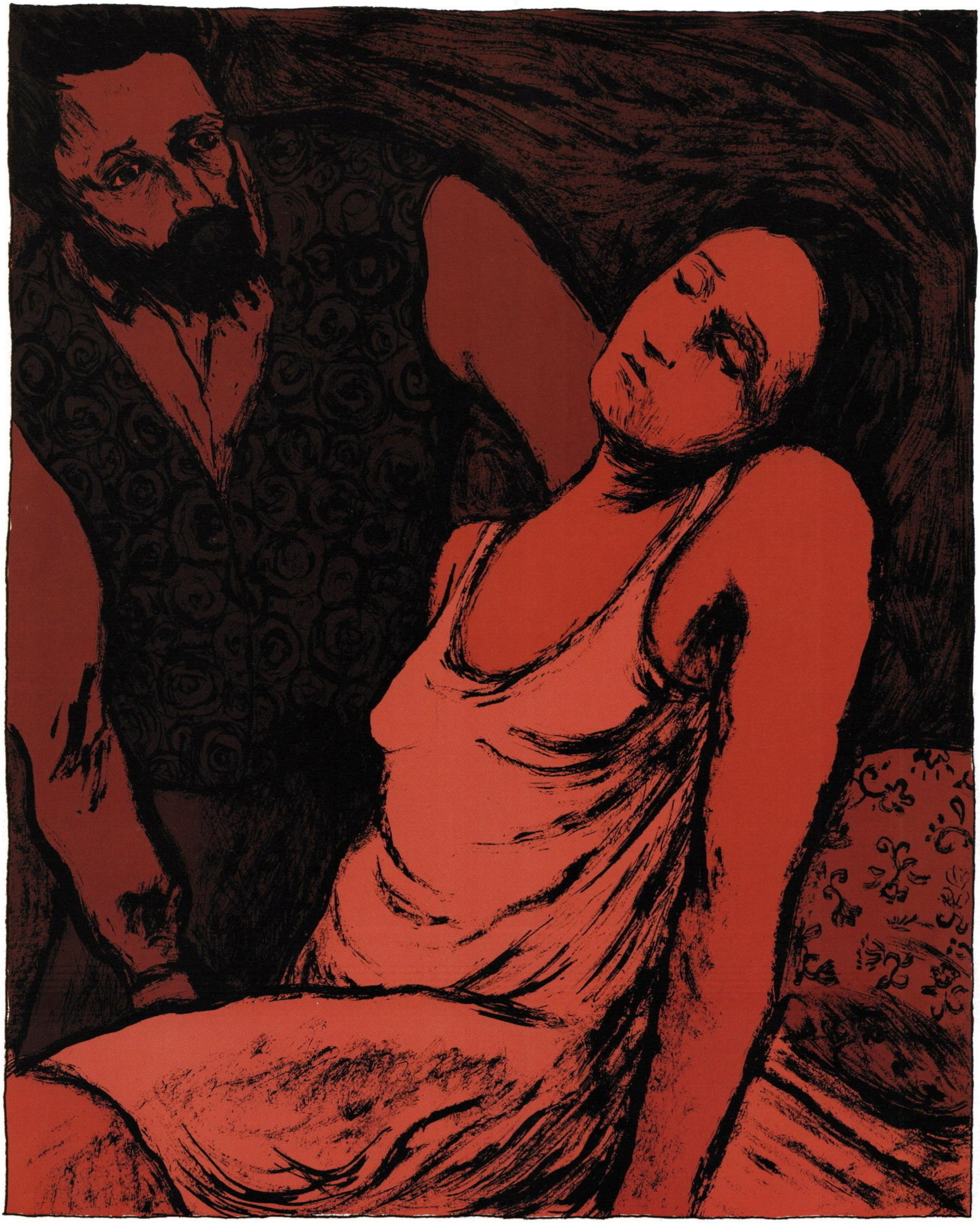

سوف نبدأ من جديد...

سأبيع المكتب

إذا كنت ترغبين في ذلك، فسوف نعطي جزءاً من المال للفقراء

سنحتفظ فقط بما هو ضروري

ما سنفعله مرة أخرى غداً سيكون جديداً تماماً. أعدك... سأخبرك بكل شيء

صباح الخير

لا تتحركي، سأعود
سريعاً، فقط خمس دقائق

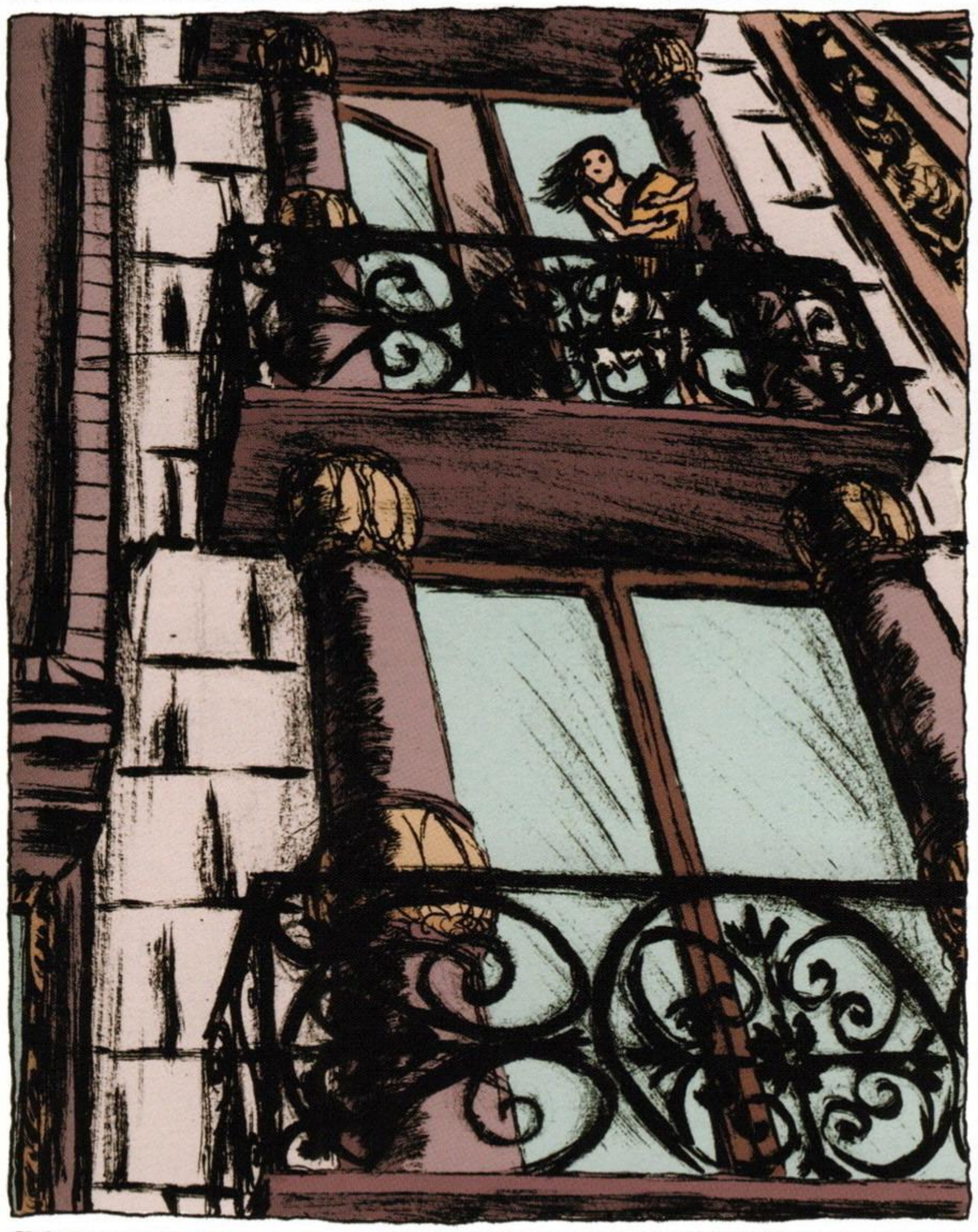

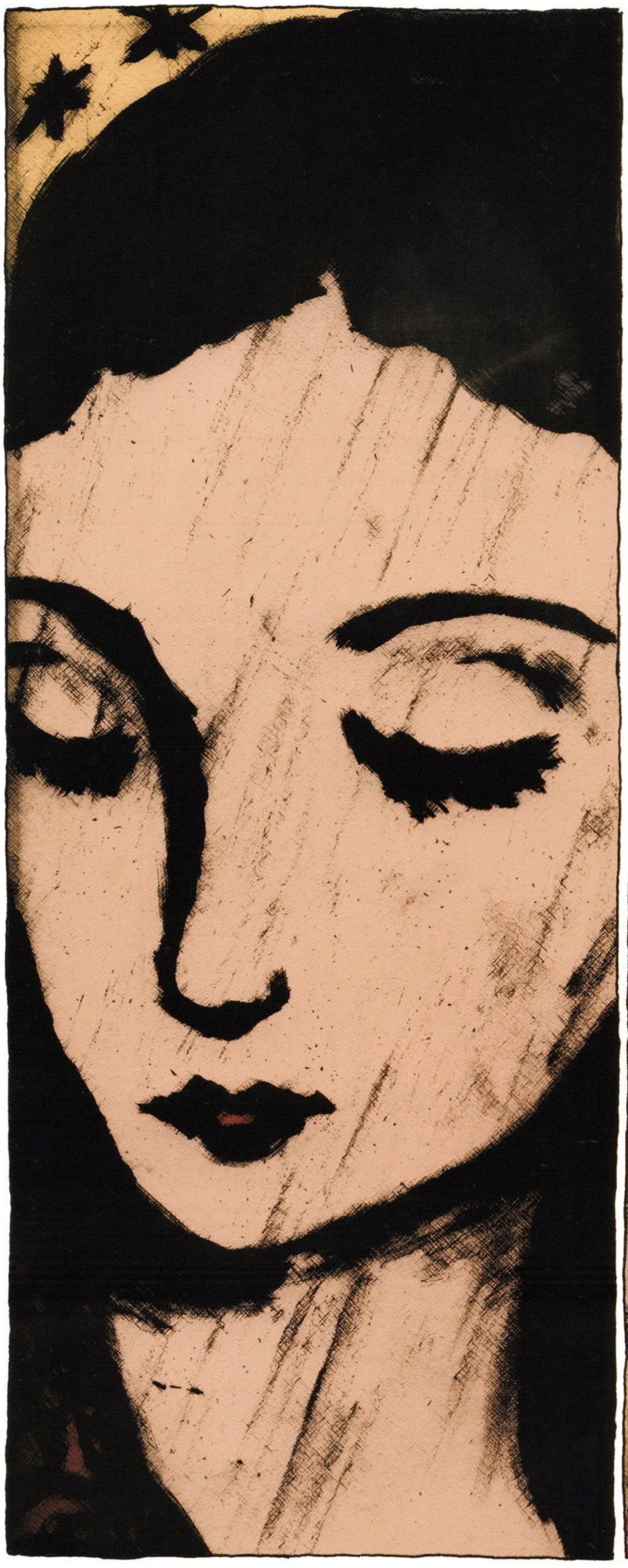

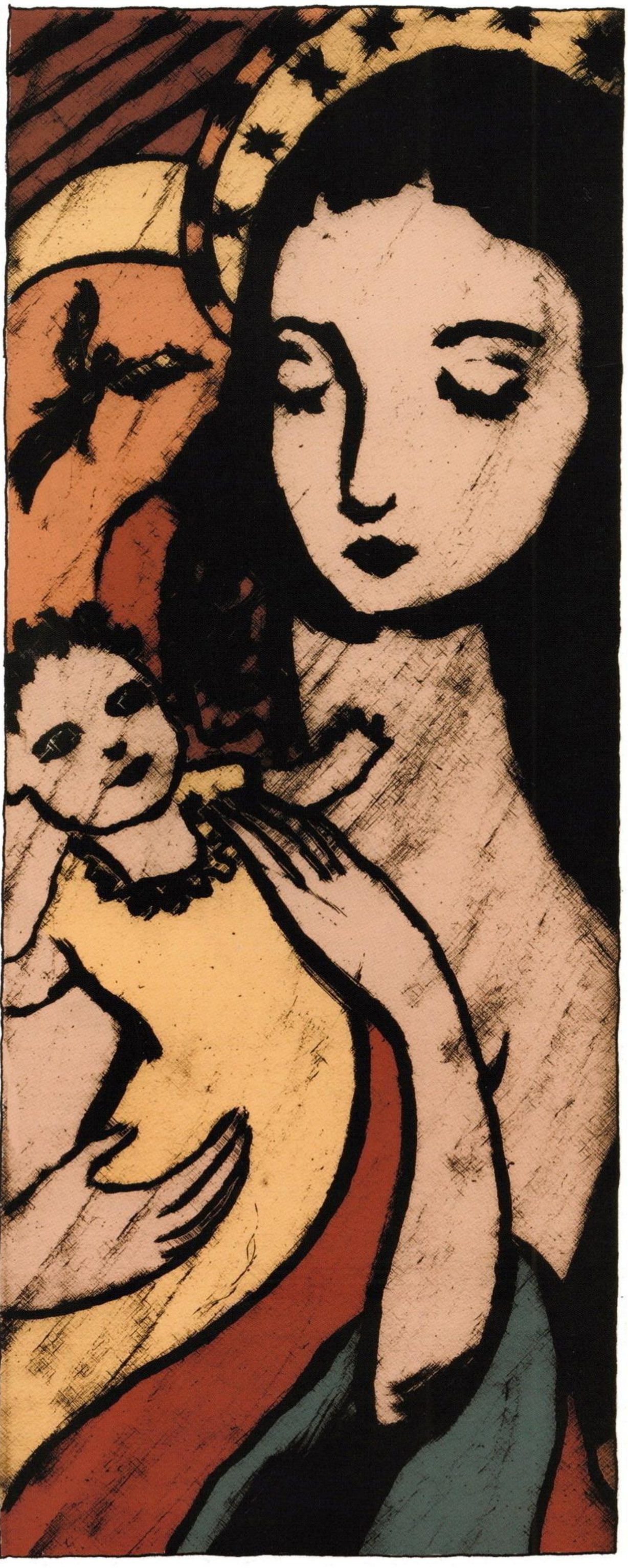

لماذا؟

لأي شيء ماتت هذه المرأة؟

هل فزعت من حبي؟

أعرف

أغدقت عليّ الكثير من الوعود، وخشيت من أنها لا تستطيع الوفاء بها...

فلأي شيء ماتت إذن؟.. ما زال السؤال قائماً، السؤال يدق في دماغي.. كان من الممكن أن أتركها على حالها، إذا كانت راغبة في أن تبقى على حالها. ولم تكن تصدق بذلك. تلك هي المسألة! لا، لا، أنا أكذب. ليست هذه المسألة على الإطلاق. بل لمجرد انها كان يجب أن تحبني بنزاهة، أن تحبني تمام الحب، لا كما لو كانت ستحب التاجر

...

هل كانت تحتقرني أم لا؟

لا أظن أنها كانت تحتقرني

آه! لا بأس لو أحتقرتني، ولو العمر كله، ولكن كان يجب أن تعيش، أن تعيش!
قبل حين كانت تمشي وتتكلم، لا أفهم أبداً كيف رمت نفسها من النافذة

وها أنا وحيد مرة أخرى

لم تترك حتى خطاباً لتبرّئني كأن تقول:"لا أتهم أحداً في موتي". لو لم يكن هناك شهود لكنت متهماً

...

حسناً!...

لقد أنهكتها وعذبتها، تلك هي المسألة

ما حاجتي إلى قوانينكم؟ ليحاكمني قاضيكم، ليقدموني إلى المحكمة، إلى محكمتكم العلنية، وسأعلن بأنني لن أعترف بأي شيء.. لا يهمني، كل شيء سواء لديّ

ولو كنت ستحبين شخصاً آخر، وليكن، عندئذ يمكنك أن تسيري معه ولنظرت أنا إليكما من الجانب الآخر من الشارع.. أحقاً إنها ليست ميتة؟ كل شيء ميت، والأموات في كل مكان. الناس وحدهم فقط، وحولهم الصمت.. تلك هي الأرض! "أيها الناس أحبوا بعضكم بعضا"، من قال هذا؟... لا، عن جد، حين سيحملونها غداً ماذا سأكون؟

كان إنتاج دوستويفسكي الإبداعي يقول آنذاك، ويقول الآن أيضاً: إن روح الإنسان تتمرد، إن روح الإنسان تحلم في البحث عن مخرج، وإنها بالأحرى تختار الموت عن أن توافق على أن تكون سلعة.

إن إنتاج دوستويفسكي الإبداعي لا يتحدث فقط عن القلق المستديم لفنانٍ مشبوب العاطفة، ولا يتحدث فقط عن الاحتجاج، وتحدٍّ عالم غير مقبول، بل يتحدث أيضاً عن بلبلته، وعن شكوك الباحث المعذبة، عن التناقضات التي لا يقوى أحد على حلّها على انفراد.

كونستانتين فيدين

كلمة أُلقيت في الاجتماع الاحتفالي بالذكرى المائة والخمسين على مولد دوستويفسكي 11 تشرين الثاني 1971

فيودور دوستويفسكي
(١٨٢١ – ١٨٨١)

فيودور ميخايلوفيتش دوستويفسكي هو روائي وكاتب قصص قصيرة وصحفي وفيلسوف روسي. وهو واحدٌ من أشهر الكُتّاب والمؤلفين حول العالم. جسّدت أعماله الصراع النفسي الذي عانى منه المجتمع الروسي خلال حُقبةٍ مضطربة سياسياً واجتماعياً في القرن التاسع عشر. وقد تم تصنيفه كأحد أكثر عُلماء النفس تأثيراً في عالم الأدب؛ لِمَا تميّزت به أعماله من حِدّة.

بدأ تعرّفه على الأدب في سِنٍ مُبكرة، ونشر أول روايةٍ له عند بلوغه الخامسة والعشرين من عُمره. كان شاباً ذكياً، نَبَغَ في دراسته الأكاديمية، وتخرّج الثالث على دفعته من كلية الهندسة.

كانت روسيا في ذاك الوقت تمرُّ بمرحلة مضطربة سياسياً، وتم إجبار دوستويفسكي وإخوانه على أداء الخدمة العسكرية التي كان يكرهها بشدّة. عانى في شبابه من عدة صِرَاعات، فقد تم اعتقاله أثناء مشاركته في نشاطات ثورية وحُكِمَ عليه بالإعدام، ولكنّه حصل على العفو في آخر لحظة. كما كانت صحته متدهورة، وكان يُعاني من نوبات الصرع.

ومع ذلك لم تمنعه مشاكله الصحية من الكتابة، وواصل كتابة روائعه الأدبية مثل: "الجريمة والعقاب" و"الإخوة كارامازوف". وبرغم نجاح أعماله الأدبية، إلا إنّه مرّ بأزمات مادية وصحية متعددة خلال حياته. ولكنّه تغلّب على تلك العقبات، وأصبح أحد أشهر الكُتّاب الروس على مرِّ الزمان.

تُوفِّيَ عام 1881؛ بسبب إصابته بنزيفٍ في الرئة.

تحوّل المنزل الذي كتب فيه أوّل وآخر رواياته إلى "متحف دوستويفسكي" في عام 1971.